كلمة في المنهاج (1)

قوام الدين بكتاب يهدي وبسيف ينصر
وكفى بربك هاديا ونصيرا

بقلم الشيخ؛ أبي محمد المقدسي

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه وكان آخذا السيف بإحدى يديه والمصحف بيده الأخرى : (أمرنا رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم أن نضرب بهذا من عدل عن هذا)..

* مفسرا بذلك قوله تعـالى : ((**لقد أرسـلنا رسـلنا بالبينات . وأنزلنا معهم الكتاب والمـيزان ليقـوم الناس بالقسط**))

(فالمقصود من إرسال الرسل وإنـزال الكتب أن يقـوم الناس بالقسط في حقوق اللـه ، وحقـوق خلقـه) فتـاوى شيخ الإسلام (28/263).

وإن من أحق حقوق اللـه تعـالى الـتي بعث بهـا الرسـل كافة وأنزلت من أجلها كتب الله جميعها ؛ أن يقوم الناس بتحقيق التوحيد ؛الذي هـو إخلاص العبوديـة للـه في كافـة منـاحي حيـاتهم ؛ فـدعوة الرسـل كافـة وكتب اللـه الـتي أنزلت عليهم كلها من أولها إلى آخرهـا تَنْصَـبُّ وتتكلم في هذا الحق العظيم .. إذ محتواها:

-إما دعوة لتحقيق هذا الحق والقيام به أو أمـر بالـدعوة إليـه والصـبر عليـه أوحضّ على الجهـاد من أجـل تحقيقـه والموالاة والمعاداة فيه .

-وإما خبر عن جزاء من حققه وقـام بـه ونصـره وجاهـد في سبيله وما أعده اللـه لهم من الثـواب العظيم والنعيم المقيم .

-وإما دعوة إلى البراءة مما يناقضه من الشرك والتنديد ودعوة لجهاده وجهاد أهله والسعي في هدمـه واستئصـاله بكافة أشكاله من الأرض .

-وإما خبر عن مصير المعرضين عن تحقيـق هـذا الحـق والمحاربين له ولأوليائه وما آل إليـه مصـيرهم من الخـزي والندامة ،وما أعده الله لهم من العقاب الـوخيم والعـذاب المقيم .

فكتب الله كلها ورسالات أنبيائـه جميعهـا من أولهـا إلى آخرها تتلخص في هذا الحق وتتمحور فيه ..

فهـو الغايـة العظمى والهـدف الأسـمى الـذي خلـق من أجله الخلق وبعث له الرسل وأنزلت من أجله الكتب ..

* ثم قال تعالى : ((**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسـله بالغيب**))

فمن أعرض عن هذا الحـق ولم يقم بـه بالقسـط ،ورده في وجوه الرسل والدعاة ؛ قُوِّم بالسيف عليه ..

وهذا معنى قول رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم : (بعثت بالسيف بين يدي الساعة ، حتى يعبد الله وحـده لا شـريك لـه ،وجعـل رزقي تحت ظـل رمحي ،وجعـل الـذل والصغار على من خالف أمري ،ومن تشبه بقوم فهو منهم) رواه الإمام أحمد عن ابن عمر.

(فمن عدل عن الكتاب قُوّم بالحديـد ،ولهـذا كـان قـوام الدين بالمصحف والسيف) الفتاوى(28/264).

فينبغي على الدعاة الصادقين في كل زمـان أن يجعلـوا هـــذا الحـــق محـــور دعـــواتهم ، ومنطلـــق خطـــابهم وتصـوراتهم ،ومرتكـز مـوازينهم ؛ في ميادينــه يصـولون ويجولون ،وحوله يدندنون ، ومن أجله يُبتلـون ويسـجنون ، وتحت رايته يُقاتلون ويُقتلون .

وعليهم أن يسـعوا دومـا لإقامتــه على ضـوء الكتـاب والسـنة بـالحجج والبينـات ، فمن قـام كائنـا من كـان في وجهه ورفضه ؛ قُوّم بالحديد ..

فإن عزّ عليهم الحديد في وقت من الأوقات ولم تطوله أيديهم ؛لم يحلّ لهم أن يلغـوه من حسـاباتهم أو يهملـوه ، بـل يـدورون مـع الكتـاب حيث دار ويسـعون جـادين في الإعداد لإقامته بالحديد ..

فكـل من يعـرف حقيقـة هـذا الـدين – حـتى أعـداؤه- يعرفون أنه توحيد وجهاد ، دعوة وقتال ، مصحف وحديـد ، ويعلمون جيدا – ما داموا يرفضون الإستقامة عليه والقيام بـه بالقسـط -أنـه يرفضـهم وسيستأصـل بـاطلهم طـال الزمان أم قصر ، فهم يعرفون أن محمدا صلى اللـه عليـه وسلم إنمـا بعث لـذبحهم وذبح أمثـالهم، وقـد واجـه بـذلك أقرب النـاس ؛عشـيرته وقومـه حين رفضـوا القيـام بهـذا الحق بالقسط ، فأنبأهم بغايته قبل أن يقدر عليها بسنين ؛ فقـال : " تسـمعون يـا معشـر قـريش، أمـا والـذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح " . ثم قام بذلك أحق القيام لما أعز الله الإسلام وأهله بالحديد .

ونحن إن شـاء اللـه على إثـره ماضـون وعلى منهاجـه سـائرون وبسـنته قـائمون ومعـه مقـاتلون ((**وكأي من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا ومـا اسـتكانوا واللـه يحب الصابرين**)) ..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية إنّ (كون النبي قاتل معـه أو قُتل معه ربيون كثـير لا يسـتلزم أن يكـون النـبي معهم في الغزاة، بل كل من اتبع النـبي وقاتـل على دينـه، فقـد قاتل معه، وهذا الذي فهمه الصـحابة، فـإن أعظم قتـالهم كان بعد وفاته صلى اللـه عليـه وسـلم، حـتى فتحـوا البلاد شاماً ومصراً وعراقاً ويمناً وعجماً وروماً ومغربا ومشـرقاً، وحينئذ ظهر كثرة من قُتل معه، فإن الذين قاتلوا وأصـيبوا وهم على دين الأنبياء كثيرون، ويكون في هذه الآية عـبرة لكل المؤمنين إلى يوم القيامـة، فـإنهم كلهم يقـاتلون مـع النبي صلى الله عليه وسلم وعلى دينه، وإن كان قد مات. وهم داخلون في قوله: ((**محمد رسول اللـه والـذين معه**)) الآيـة، وفي قولـه: ((**والـذين آمنـوا من بعـد وهاجروا وجاهدوا معكم**)) الآية، فليس من شرط من يكون مع المطاع أن يكون مشـاهدا للمطـاع نـاظراً إليـه) أهـ. مجموع الفتاوى.

فنحن نصرّح لأعدائنا علانية بغايتنا ؛ونعلمهم بأننا إن كنـا عنها اليوم عاجزين فلا يعني ذلك أننا ألغيناها من حساباتنا ،كلا فذلك لا يحل لنا بحال، ولا نملكه أصـلا ،ولـذلك فنحن نجـأر إلى اللــه في الليــل والنهــار ونــدعوه في الغــداة والعشـي أن يمكننـا من رقـابهم ورقـاب كـل أعـداء هـذا الدين؛ وكل حركاتنا وسكناتنا وأنفاسنا إعداد لذلك وإرصاد .

وهم يعرفــون ذلــك جيــدا ؛ويعرفــون كــذلك انحــراف وسقوط من يحاول من دعاة الإنهزام ويسعى عبثا لتجريد الكتــاب من الحديــد ؛ ويعرفــون جهلــه بحقيقــة هــذا الدين ،وأنه قـد انحـرف عن أوامـر اللـه الشـرعية وسـننه الكونية ؛ ولم يفهم دين الإسلام ..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(ودين الإسلام : أن يكون السيف تابعا للكتاب ؛ فإذا ظهر العلم بالكتاب والسنة وكان السـيف تابعـا لـذلك كان أمر الإسلام قائما .) الفتاوى (20/393).

وقال : (فقوام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر "وكفى بربك هاديا ونصيرا ") أهـ.

وكتب أبو محمد المقدسي

محرم - 1422 هـ